

عنوان البحث :

الشهيد المجاهد عز الدين القسام تاريخه وجهاده

إعداد الطالب : تبارك قاسم سالم

المسمى الوظيفي أو التخصص للطالب: طالب جامعي

إشراف: أ.جهد ملكه

قُدِّمَ هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على

دبلوم الدراسات الفلسطينية من أكاديمية دراسات اللاجئين لعام: ٢٠١٦/٢٠١٧ [فوج الأمل والعطاء]

The Academy Of Refugee Studies

تاريخ تسليم البحث في نسخته النهائية

المبحث الأول : نشأة الشيخ عز الدين القسام وأهم سماته وإنجازاته

المطلب الأول : نشأة الشيخ عز الدين القسام

هو محمد عز الدين بن عبد القادر بن مصطفى بن يوسف بن محمد القسام، ولد القائد في بلدة جبلة التابعة لقضاء مدينة اللاذقية السورية في عام ١٨٣٣م، ولقد اشتهر بلقب (عز الدين) ،حيث أن اسمه في الواقع مركب وهو كما ذكرت محمد عز الدين . وللحديث عن أسرته : فأبوه هو عبد القادر بن مصطفى ، كان ينسب لبني القادرية الذين كانوا في العراق ،ولقد قدم مصطفى وشقيقه من العراق إلى جبلة . تزوج عبد القادر بامرأتين الأولى هي أمينة جلول من قلعة المرقب ، ولقد أنجبت له أحمد ومصطفى وكامل وشريف . أما الزوجة الثانية فكانت حليلة قصاب – ويقال القصاب – ، وهي أم عز الدين ، أما بقية أشقائه منها فهم أمين وفخري وفاطمة. كانت أسرة عز الدين القسام متدينة ولها باع طويل في العلم الشرعي وكانت أيضاً محبوبة لدى الجميع ، فقد اشتهروا بمكانتهم الدينية وقد تربي الأبناء على القيم الحسنة مثل الصبر على قسمة الله بين العباد والعتاء والتعفف والصلاح ،إضافة إلى أنهم كانوا يكسبون قوت يومهم من عملهم.^(١)

فقد كان أبوه فقيراً لذا لم يستطع عز الدين اللعب واللهو من بقية الصبية ،حيث كان في عمر الثامنة يساعد والده لكسب الرزق لعائلته ،إذ كان يعمل مع والده في (الحاكورة) التي كانوا يمتلكونها إلى العصر تقريباً ،ثم يتوجه مساءً برفقة مصحفه وكتابه ليتعلم ويدرس في كتاب الشيخ محمود وفي زاوية الإمام الغزالي ، لذا كان مضرِباً للمثل بين أهل قريته بسبب ذكائه ووعيه المبكر ، كما امتاز أيضاً منذ صغر سنه بالإنفراد والعزلة للتفكير والتأمل ،حيث كان يشغل تفكيره حياة أسرته البائسة وكيف يرى الفلاحين يحرقون ليلاً نهاراً في أرض السيد ولا يخرجون إلا بالشيء القليل .^(٢)

المطلب الثاني : السمات التي يتمتع بها القائد عز الدين

في مرحلة لاحقة عندما لجأ القسام إلى حيفا – سأحدث عنها لاحقاً – كان يخطب بالناس في جامع الإستقلال في المدينة ،وكان مختلفاً عن باقي المشايخ في خطاباته وكلامه ،حيث كان يحث ويحرض الناس على

المقاومة والجهاد في سبيل تحرير الأرض وعدم السماح للإنجليز في ذلك الوقت بالتقدم وإشاعة الفساد والخراب أكثر .

كانت له العديد من السمات التي امتاز بها عن غيره منذ صغره وفي كبره كذلك ، فزادت تلك الامتيازات حيث كانت له قدرات كبيرة على إقامة أوسع الاتصالات وأكثرها تجزراً مع جميع الطبقات من الشعب . ازدادت حنكته واستخدمها في السياسة التي كان يتبعها مع أبناء الشعب الفلسطيني ، والتي كان من أولها الحث على الجهاد والمقاومة من خلال الجوامع والمساجد ، إضافة إلى أنه كان دقيقاً جداً في اختيار أعضاء التنظيمات حيث كان يختبرهم بامتحانات مختلفة الأشكال ويراقبهم للتأكد من مناسبتهم ومناسبة شخصياتهم لهذا المنصب.(٣)

(١) كتاب عز الدين شيخ المجاهدين في فلسطين ، شرّاب ، محمد ، ص ٣٠-٣٢ .

(٢) كتاب الشيخ عز الدين القسام تائد حركة وشهيد ثورة ، جرار ، حسني ، ص ٢٣-٢٤ .

(٣) كتاب القسام الجهاد والحركة ، عبد الرؤوف ، هشام ، ص ١١١ .

المطلب الثالث : أهم إنجازاته وأعماله

لقد كان للقائد القسام العديد من الإنجازات والأعمال المشرفة داخل وخارج فلسطين ، يكفي أنه مفجر الثورة الفلسطينية الكبرى ، فدعوني الآن أستعرض لكم بعض الانجازات منذ صغره وحتى استشهاده رحمه الله :

١- أكبر الإنجازات وأعظمها أنه قد تمت تسمية كتائب القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس باسمه القائد الشهيد محمد عز الدين عبد القادر القسام .

٢- بعد مكوثه في مصر لمدة سبع سنوات (١٨٩٦-١٩٠٣) عاد إلى سوريا وعمل مدرساً في جامع السلطان إبراهيم ببلدته جبلة .

٣- عند احتلال القوات الإيطالية لجمهورية ليبيا ، قام القسام بأول مظاهرة لتأييد الشعب الليبي في مواجهة الاحتلال الإيطالي ، وقد جمع التبرعات للأهالي في ليبيا ، وعندما لم يستطع إيصالها إلى هناك ، عمل على بناء مدرسة في مسقط رأسه لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية.^(١)

٤- في عام ١٩٢٠ شارك الشهيد القسام واثنين من زعماء العلويين وهما عمر البيطار وصالح العلي ضد الانتداب الفرنسي ، حيث تم إعلان تقسيم البلاد العربية بين فرنسا وبريطانيا ، فبتين استعداد الشعب السوري للتصدي للفرنسيين وانتدابهم ، فوجه الجنرال غورو إنذاراً لفيصل - والذي تمت مبايعته في المؤتمر السوري الثاني في ١٩٢٠-٣-٦ فأعلن استقلالها وأدخل فلسطين في الوحدة السورية - بضرورة قبول الانتداب ، فرفض الشعب هذا الإنذار وتم إعلان الجهاد في معركة ميسلون والتقى الجيشين الفرنسي بقيادة غورو والسوري بقيادة وزير الحربية يوسف العظمة في ٢٤ تموز.^(٢)

٥- حاول الفرنسيين إكرامه وشراءه بجعله يتولى القضاء ، لكنه رفض وقرر الديوان السوري العرفي محاكمته بالإعدام ! لكنه نجح بالهرب واللجوء إلى فلسطين وبالتحديد لجأ إلى حيفا ، فقام في عام ١٩٢١ بإنشاء وتكوين خلايا سرية تتكون من مقاومين سيعملون على قيادة الثورة الشعبية الفلسطينية للمقاومة فيما بعد.

٦- في ١٥ نوفمبر ١٩٣٥ ، أطلق الشهيد القسام أول رصاصة في الثورة الفلسطينية الكبرى بعد أن عمل على تدريب أبناء القرية على استخدام السلاح في أماكن سرية للغاية ، وعمل على إعداد الشباب المقاتل من كافة النواحي الإيمانية والتربوية والثقافية والعسكرية - كما أسلفت - والاجتماعية ، وبذلك فقد أظهر المجاهدون أروع صور الكفاح والنضال والجهاد ، وكان يسقط الشهيد تلو الشهيد دفاعاً عن الأرض الطاهرة ، إلى أن استشهد مفجر الثورة بعد أن ترك خلفه جيلاً مناضلاً لا يأبى إلا أن يعيش في أكناف الوطن دون احتلال أو انتداب على وطنه.^(٣)

أكاديمية دراسات اللاجئين

(١) كتاب القسام الجهاد والحركة ، عبد الرؤوف ، هشام ، ص ١١١-١١٢ .

(٢) كتاب الشيخ عز الدين القسام تائد حركة وشهيد ثورة ، جرار ، حسني ، ص ٣١ .

(٣) كتاب مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، الترياني ، جهاد، ص ٤٣٣ .

المبحث الثاني: جهاده خارج فلسطين : محاربة الاحتلال الفرنسي في سوريا^(١).

كان من أهم نتائج الثورة العربية على الدولة العثمانية احتلال فرنسا لسوريا، واحتلال بريطانيا لفلسطين .

نبذة بسيطة عن بدايات الثورة العربية الكبرى على الدولة العثمانية :

بدأت الثورة العربية في الحجاز والتي أطلق شرارتها من بندقيته الشريف حسين في حزيران ١٩١٦ ، وامتدت هذه الطلقة إلى أن عمت أرجاء السعودية ووصلت إلى سوريا والعراق وتم إسقاط الحكم العثماني فيها ، وكل هذا كان نتيجة سياسة العمل والتجنيد الإجباري تحت مسمى الحكم العثماني بالإضافة إلى كثرة السلب والنهب لممتلكات الناس وأراضيهم ، فكان هدف تلك الثورة أساساً هو إزالة الحكم العثماني كلياً وعمل إتحاد عربي مع دول شبه الجزيرة العربية .

كانت الدولة العثمانية تجهز جيشاً مكوناً من قرابة الأربعين محارباً لمحاربة الإنجليز القادمين من جهة مصر ، فقام الشريف حسين بحشد القوات العربية ، فأصبحت الدولة العثمانية في مواجهة داخلية من قبل الرعايا العرب ومواجهة خارجية من قبل الانجليز ، اتحدت هاتين القوتين بشكل غير مباشر ضد الدولة العثمانية ، فكان الجيوش العرب يقتحمون القرى والمدن ويطردون الجنود الأتراك ثم تأتي جيوش الحلفاء لإكمال ما بدأه العرب .

فقد كان أول من حارب الفرنسيين ورفع راية الجهاد والكفاح هو عز الدين القسام ، وقد بدأ ذلك عند دخول الجيش الفرنسي إلى اللاذقية في ١٩١٨-١٠-١٠ ، وقد تمت مواجهة الإحتلال الفرنسي على عدة مراحل مشى فيها قائداً وكانت أولها :

١- التعبئة المعنوية : عاود القسام إحياء وظيفة المساجد ، وبدأ بنشر الرسالة الحقة فيه ، وبث روح الجهاد للخلق من خلال خطبه وتعليمه ، وبذلك استحق لقب داعية الجهاد ، فقد كان القسام على يقين تام أن القوة الإيمانية داخل القلب المؤمن والطاقة الريانية التي يستمدّها الفرد المسلم من المساجد هي أقوى سلاح لمحاربة الإحتلال والظلم .

٢- بيع بيته لشراء السلاح وبذلك يكون نعم القدوة والقائد في الجهاد بالنفس والمال ، فهذه رواية وإن صحت فيكون القسام قد صدق قول أدهم الجندي "إن الشهيد القسام يزن برجولته ألوف الرجال" .

٣- تدريب الجيش والمتطوعين بالقتال على استخدام السلاح ، فقد تقدم العديد من أهل جبلة لذلك ، فأخذ يدرّبهم عند خليج شاطئ البحيص جنوب جبلة على فنون القتال ، فهو ذا خبرة عالية لأنه كان قد انضم للجيش العثماني .

٤- عندما أحس أنه مراقب وأن عيون الفرنسيين تلاحقه قرر الإنتقال إلى مكان أكثر أمناً ولم يود أن يتوقف الكفاح مهما كانت العواقب ، فاتخذ من جبل صهيون - جبل من جبال محافظة اللاذقية وهي منطقة

إدارية تابعة لمدينة اللاذقية وتتألف من مجموعة قرى - مقرأً للجهاد ،ولقد تحصن بقمة عالية منيعة بالقرب من قرية الزنقوفة واعتبرها كقاعدة عسكرية أمنية حصينة .

(١) كتاب عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين ،شراب ،محمد ،ص٩٧، ص١٠١، ص١٠٥-١٠٧.

كانت عصابة القسام من أكثر المجموعات التي أوقعت بالفرنسيين ،فحاولوا مراراً بإغراء القسام للإنضمام لهم ، فقد بعثوا برسالة شفوية قيل فيها أن يسألهم ويكف عن مقاومتهم وأن يعود هو ومن معه إلى جبهة آمين ،فعادوا خائبين وقال : "إنني لن أقعد عن القتال أو القى الله شهيداً".

ونتيجة لهذا التمرد الذي أبداه القائد عز الدين تجاه تعليماتهم حكم عليه الديوان العرفي الفرنسي في اللاذقية بالإعدام هو ومجموعة من المجاهدين معه والذين أصروا على إكمال درب الجهاد والكفاح ،وقد عملت العديد من الجماعات على هدف واحد وهو طرد الفرنسيين ووحدة البلدات السورية ،وليس فقط جماعة القسام .

فمن أبرز القيادات التي كانت مع جماعة القسام قيادة عمر البيطار ،حيث كانتا تتشركان نفس المكان (جبل صهيون) ،لكن عز الدين القسام وجماعته تظهر في ساحة القتال بشكل متميز عن غيرها ،فقاد ثورة جبل صهيون مع تلك القيادة .

كانت كل الثورات - حلب، جبال صهيون، جبال العلويين - تحافظ على استقلالها في المراحل الأولى ، ثم أصبحت تتبادل الخبرات وتتعاون فيما بينها ولكن كلن بقيادته .

معركة بانيا هي من أشهر المعارك التي خاضها القسام وجماعته ،حيث قامت ثلة المجاهدين بغارة على ثكنة عسكرية فرنسية ليلاً ،وتم قتل حاميتها في ١٩٢٠م^(١).

كانت أوجه استفاة القسام من تجربة الجهاد في الثورة السورية متعددة، فقد أيقن أن الثورة بالسلاح هي السبيل والطريق الوحيد للوقوف في وجه المستوطنين والاحتلال ، وعرف أنه يجب التخطيط لأي حرب أو ثورة تخطيطاً سياسياً وعسكرياً ،كما ويجب تشجيع الثوار والمجاهدين وبت روح الجهاد والكفاح فيهم بطرق مقنعة ويسيرة ،إضافة إلى أهمية وجود جماعات سرية أساس قيامها هو التربية الروحية والسياسية والعسكرية للثوار . ورأى القسام أن من يستعمل أسلوب التفاوض لإعلان السلام بدلاً من القتال العسكري فهو خائن وإنما يريده هو بيع الوطن للغاصب بطريقة غير مباشرة، كما وقد تبين له ضرورة التجهيز النفسي والروحي للثورة والجهاد وتهيئة النفس لذلك منذ مدة ليست بالقصيرة من الزمن ،وهذا ما انتهجه قائدنا في حيفا^(٢) .

(١) كتاب عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين ، شراب ، محمد ، ص ٩٧ ، ص ١٠١ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) كتاب الشيخ عز الدين القسام قائد حركة وشهيد ثورة ، جرار ، حسني ، ص ٣٧ - ٣٨ .

المبحث الثالث: عز الدين القسام في فلسطين (حيفا) وأهم ما قام به قبل العمل الجهادي

نجح القائد القسام بالفرار من حكم الديوان السوري العرفي بالإعدام إلى فلسطين ، وهناك عدة روايات حول كيفية هرب القسام إلى فلسطين (حيفا) عام ١٩٢٠م^(١)، نذكر منها^(٢):

الأولى : قال الزركلي في (الأعلام): " إن القسام قصد دمشق إبان الحكم الفيصلي ثم غادرها بعد استيلاء الفرنسيين عليها عام ١٩٢٠م فأقام في حيفا " .

الثانية: نقل مصباح غلاونجي: " غادر القسام وأصحابه المجاهدون بلدة (جسر الشغور) متجهين غلى دمشق لخوض المعركة - إنذار القوات الفرنسية للملك فيصل - لكنهم لم يصلوا إلا بعد فوات الأوان " .

الثالثة: قال عبد الوهاب زيتون: "قبل أن يرحل القسام إلى فلسطين كان في بيروت وقام بمغادرتها سراً للتوجه إلى دمشق " .

الرابعة: قال علي حسين خلف: "انتقل القسام من جبال صهيون إلى جسر الشغور ومنها إلى بيروت ، وأقام في الجامع العمري ثم ذهب إلى دمشق سراً حيث زوده رفيق دربه عز الدين التتوخي بجواز سفر مزور لكي يفلت من قبضة القوات الفرنسية التي تريد رأسه .

نلاحظ أن جميع الروايات اتفقت على أن وجهة القسام قبل أن يقيم في حيفا كانت إلى دمشق .

بعد أن وصل القسام إلى حيفا ،ساعده ذلك في المضي في دعوته ونشاطه بطريقة ناجحة ،فقد كانت حيفا مدينة ساحرة واقعة على الساحل ،وتعتبر المرفأ والمرسى الأول للسفن، وكانت تشكل حلقة وصل بين داخل فلسطين – المدن الساحلية (عكا ،يافا..)- وخارجها – سوريا ولبنان – هذا عن طريق البحر ، وهي تصل أيضاً براً بين فلسطين ودمشق بالخط الحديدي الحجازي ،وكانت تضم العديد من الأقوام الجنسية ،لأنها كانت مدينة تجارية يأتي الناس لها من كل صوب للتجارة والمتاجرة ببضاعتهم .

إضافة إلى أنها كانت ملجأ الفلاحين الذين استولى الانتداب البريطاني على أراضيهم الزراعية في مرج عامر وضمت حوالي ١١ ألف فقير عاشوا في بيوت من الصفيح بسبب تدمير الإنتداب البريطاني أيضاً لقراهم ، وهنا تكمن نقطة التيسير ،فقد كان غالب أهل المدينة أصدقاء للقسام ،وكان موضع ثقة كبير بالنسبة لهم وهذا – كما أسلفت في القول – ما ساعد القسام على النمو في نشاطه من كافة النواحي (٣) .

(١) كتاب مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ،الترباني ،جهاد، ص٤٣٣ .

(٢) كتاب عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين ،شراب ،محمد ،ص١١١-١١٢ .

(٣) كتاب الشيخ عز الدين القسام تائد حركة وشهيد ثورة ، جرار،حسني ،ص٥٢-٥٣ .

نبتة سريعة عن تاريخ حيفا (١) :

- أول من سكنها هم العرب الكنعانيون وعمروها وعمروا العديد من قراها مثل :الطنطورة ،قيسارية،

دور..The Academy Of Refugee Studies.

- على شواطئ حيفا وقعت أول معركة بحرية في التاريخ العالمي في عهد عمسيس الثالث بين

المصريين والأيجيين عام ١١٩١ ق.م.

- في ذات العهد أسس الثكاليون دولة مستقلة لهم على أرض الطنطورة، وآخر من سكن حيفا من العصور القديمة هم الرومان ،ومن بعدها بدأت تستقل القبائل العربية الإسلامية وبدأت الفتوحات الإسلامية منذ ٦٣٣ م .

عمل الشيخ عز الدين القسام إماماً وخطيباً لمسجد الإستقلال ودرّس في مدرسة البنات الإسلامية ومدرسة البرج للبنين الإسلامية ،وهاتان المدرستان تشرف عليهما الجمعية الإسلامية في حيفا ،ثم عمل عضواً في جمعية الشبان المسلمين - فرع حيفا - ثم ترأسها ،وكان يعمل أيضاً مأذوناً شرعياً لقرى شمال فلسطين^(٢) .

١- القسام إماماً وخطيباً^(٣) :

كان يوم جمعة ،انتقل فيه الشيخ القسام من عكا إلى حيفا ،وعند وصوله هو وأصحابه قاموا بأداء صلاة المغرب في جامع الجرينة^(٤) وتطوع القسام بالإمامة وبعدها قام بالوعظ بطريقة لفتت أنظار الحاضرين له، فقد كانت مواعظه فريدة لم تُطرح من قبل في ذلك الوقت .. وعند صلاة العشاء ،طلب منه أن يكون إماماً في الناس فبكى وأبكى وعم الخشوع أرجاء الجامع ،وبعد ختام الصلاة أقبل الناس على القسام يصافحونه ويتنون عليه وعلى جميل كلامه . وبقي القسام يرتاد الجامع لأداء الفرائض وإلقاء المواعظ فُعُرف واشتُهر أكثر بين الناس .

في عام ١٩٢٥م تم بناء جامع الاستقلال ،وقد تولى القسام الإمامة والخطابة فيه ،وللإشارة إلى اسم الجامع فهو لم يتم انتقائه بعشوائية ،بل إن الاستقلال لا يأتي إلا بالجهاد ،ولكي يحب الجميع الجهاد ويتحلى به على النفس والروح والجسد أن يتم تعبئتهم تعبئة معنوية وتنطلق هذه المعنوية من المسجد .

(١) موسوعة بلادنا فلسطين ،الدباغ، مصطفى ،ص٤٨٣-٤٨٥ .

(٢) كتاب القسام الجهاد والحركة ،عبد الرؤوف ،هشام ،ص٤٩ .

(٣) كتاب عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين ،شراب ،محمد ،ص١٤٢-١٤٣ .

(٤) ويطلق عليه أيضاً جامع النصر ،وهو الجامع القديم الذي بناه أبناء الظاهر العُمَر ،وكان يطل على البحر قبل إنشاء الميناء الجديد ،كما أنه الجامع الرئيس للمدينة ،وما زال قائماً .

٢- القسام معلماً (١):

بعد مدة قليلة فقط من قدومه إلى حيفا عمل مدرساً ، كان في تدريسه يجمع بين المنهج الدراسي والتوجيه التربوي المناسب لحال المسلمين ، فكان يمثل الجهاد والمعارك مثل معركة حطين وعين جالوت ، بالإضافة إلى تحدثه عن أبطال الإسلام وكل هذا ليغرس مفهوم الجهاد الصحيح السليم فيهم لكي يتعلمونه قلباً وقالباً ويعلموه فيما بعد لمن بعدهم من أجيال ، خصوصاً في ظل الانتداب البريطاني وعامة الجو حولهم آنذاك .

كما وحرص أيضاً على توجيه الطلاب نحو المهنة والحرفية ، وذلك حسب ما وهبهم الله من مهارات وقدرات ، وكان يسأل الطلاب عن أمانيتهم المستقبلية ويناقشهم فيها ويحاول أن يجعل تلك الأمانيت واقعة لكل طالب ، وكان كثيراً ما يمدح الطلاب الذين يخبرونه بأنهم سيصبحون قادة مجاهدين ، فقد كان يثني عليهم بشكل ملفت ، وذلك ليبين لهم كم أن الجهاد شيء أساسي في حياة المجتمع المسلم .

وقد تحلى معلمنا القسام بعدة صفات حميدة مثل قلة الكلام والهدوء ، وكان لا يستخدم العنف في التدريس مما جعله محبوباً لدى طلابه ومصاحباً لهم ، فقد كان يفهمهم ويستمع لهم ، معلم ذا صدر رحب . وكما قال عبد الرحمن مراد - أحد تلاميذه - أن الشيخ القسام كان يدرس التربية الإسلامية تلك المادة المحببة لدى أغلب الطلاب والأكثر تأثيراً على نفوسهم .

في عام ١٩٢٤م أُجريت المدرسة - البرج للبنين - بالكامل للشيخ كامل القصاب ، لكن القسام بقي يدرس فيها حتى فترة بدء العمل على مشروعه الجهادي القسامي .

٣- القسام مأذوناً (٢):

عمل القسام مأذوناً لدى محكمة حيفا عام ١٩٣٠م بعد أن اجتاز الامتحان الذي قدمه لينال هذه الوظيفة ، وقد نجح فيه من بين ١٤ شيخاً . فقد كانت رغبة القسام في الاندماج مع الناس والتحدث إليهم في كل المناسبات شديدة ، وكان أهم غرض من ذلك هو بيان أن الدين الإسلامي دين يسر وسعة وانفتاح بالمعقول وليس الانزواء وانعزال الناس .

ففي يوم من الأيام حدث أن منع أحد مشايخ المنطقة الأعراس لأن الناس يستخدمون فيها الطبول والطبول تجمع الشياطين ! فقال القسام في ذلك : "اعملوا عرساً واعزموني ، فحتى الفرح يريدون إغلاقه؟ إذا لم يتنفس الشباب فكيف سيتحملون المسؤوليات الجادة؟" وهذا بالفعل ما نعينه بالفهم الصحيح السوي للإسلام .

وقد اتصل القسام من خلال هذه الوظيفة بفئات وطبقات المجتمع كافة شباباً وشباناً ، عمالاً وفلاحين ، طلاب ، موظفين ، تجار ، فأقام معهم أقوى العلاقات وهذا له الأثر البالغ في اتساع رقعة جهاده .

(١) كتاب عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين ، شراب ، محمد ، ص١٣٦-١٣٨ .

(٢) كتاب الشيخ عز الدين القسام قائد حركة وشهيد ثورة ، جرار ، حسني ، ص٦١ .

المبحث الرابع: تأسيس العصبة القسامية ونشأتها:

كان لشيخنا القائد مشروع ثوري إسلامي أممي ، اعتمد على مبادرته الشخصية وأن كل ما فعله هو من إرادته الذاتية ، فعز الدين القسام منذ نعومة أظفاره ظهرت فيه روح المبادرة والكفاح والاستقلال بنفسه ، وظهر ذلك جلياً عند استقلاله عن والده ، كما وكان معتمداً على نفسه واتضح ذلك من خلال سفره لإكمال دراسته في الأزهر ، وكل هذه المراحل هيئت للوصول إلى مشروعه الكفاحي المقاوم ، وعن ثورته فالقسام رجل ثوري بحت ، علق تفكيره وسائر حياته على الثورة والكفاح والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق ورفع الظلم عن المظلومين والانتصار للمسلمين بجعلهم يشاركونه طعم النصر والاستشهاد وذلك بتجميع الطاقات الشبابية الهائلة حوله .

رأى القسام إسلامية مشروعه الذي يحمل مفهوم الجامعة الإسلامية ، أنه أساس النجاح ، فكما أسلفت في القول أن تربيته وحياته منذ الصغر ساعده في ذلك وكان من أهم العوامل لتسهيل مشروعه الجليل ، فهو أيضاً قد عمل في العديد من المجالات وعاشر جميع طبقات والمراحل العمرية للمجتمع ، فدرّس الأطفال والشابات والشباب وعلمهم وحفظهم القرآن وصور لهم الجهاد بأقوى وأجمل صورته ، وهذا غير الخطب والمواعظ حيث أن كمية الطاقة والإيمان والقوة فيها عجيب ، فكان ذلك هو كل ما يحتاجه الناس كخطوة أولى للكفاح ضد الظلم .

قال القسامي إبراهيم الخليل في دعوة القسام : "إن القائد الشهيد كان يدعو للجهاد على أساس ديني ، والجهاد في سبيل الله واستخلاص الوطن ودفع الظلم عن المواطنين".

كما وأن القسام كان يصر على هداية العصاة وإنارة الطريق المستقيم لهم وتعريفه عليهم ، فمن الممكن أن يكون هؤلاء العصاة هم أمل وخير الأمة بعد هدايتهم وصلاتهم ، فكان يخاطبهم بأسلوب سمح سهل لينقلهم من طريق الضلال والجرائم إلى طريق الله المستقيم وإلى طريق الثورة المكافحة .

وكما أخبرت في سطور سابقة أن هذا المشروع قام على زرع فكر الثورة والجهاد أولاً في العقول والنفوس ثم تبدأ المرحلة العسكرية وتوظيف المجاهدين الخيرين^(١) .

(١) كتاب القسام والجهاد والحركة ، عبد الرؤوف ، هشام ، ص ٥٠-٥٣ .

وللحديث بتفصيل أكثر عن مرحلة الإعداد النفسي لخيرة الشباب كما فعل مع شباب سوريا ضد الاحتلال الفرنسي ، وكم كان هذا هو الجزء الأكبر من التدريب الصحيح على الجهاد والكفاح وحبهما ، فكان شيخنا القائد ينتقي الناس انتقاءً حسب ما لهم من مميزات فيطورها لديهم ويستفيد منها في عمله الشريف ، أي أن اختياره عمد على الكيفية دون الكمية . ونشر كل ذلك في الأماكن والوظائف التي عمل بها والتي أدت إلى اختلاطه مع الكثير والكثير من أهل البلد الأبطال .

إذاً فكانت أغلب عناصر العصابة القسامية من العمال والفلاحين الذين كانوا تحت ثلاثة نيران عكس بقية طبقات الشعب ، أما النيران الثلاثة فهي الانتداب البريطاني ، والصهيونية ، والنار الثالثة اندماج النارين الأولى والثانية فهو طبقي الطابع من أصحاب العمل وكبار ملاك المزارعين ، لذا أراد الانتصار لهم وأراد لهم أن ينتصروا لأنفسهم أولاً .

بعد ثلاث سنوات من المسح للمنطقة كافة - شمال فلسطين : وهي المنطقة التي يكثر فيها الغيظ والضغط وروح الثورة تبدأ منها كذلك - بدأ بتأسيس ما يُسمى بالخلايا السرية في عام ١٩٢٥ م ، وكان الأعضاء يتعرضون للتجنيد والتدريب المكثف والمراقبة الدائمة وهذا هو المطلوب ليتم المشروع بأكبر النجاحات .

هناك من قال أن القسام أقام خلايا سرية نسائية ، ولكنها توقفت بعد استشهاده ، ومن النساء اللاتي دخلن في تلك الخلايا القسامية فاطمة غزال ورقية حوري .

في خطته العسكرية اعتمد أن الانتداب البريطاني هو العدو الرئيس وأن الصهيونية من توابع هذا العدو ومشى على ذلك من معه ، فكان أسلوب النضال هو الكفاح المسلح ، حيث جند القسام ٢٠٠ عنصر .

بدأ العمل بتقسيم الوحدات لتكون منظومة عسكرية متكاملة، فكلف كل واحدة منها بمهام عدة، فالأولى كلفها بشراء السلاح والعتاد بالكميات المطلوبة بدقة، وبأنواع محددة في حال توافر ذلك بدون عناء، والثانية للتدريب العسكري وخصوصاً لكل عضو جديد، وبالإضافة للتدريب العسكري فهناك تجديد للتدريب النفسي فيكون أقوى وأعمق، والثالثة لتتبع أمور الصهانية والانجليز لمعرفة خططهم السرية، وبالتالي يتم إعداد خطط مضادة ومناسبة لما يخططون له، وهناك وحدة غاية في الأهمية وهي وحدة رجال الدين للدعوة، فإن القسم لم يتوقف من ناحية هذا الجانب وأحب أن يستمر في دعوة الجميع للجهاد والكفاح بزرع مفهومه الصحيح لهم عن طريق هذه الوحدة، وآخر هذه المنظومة العسكرية المتكاملة رغم بساطتها هي الوحدة التي تنسق في الإتصالات الداخلية والخارجية بين الخلايا القسامية ومن في الخارج من المساندين^(١).

(١) كتاب القسام الجهاد والحركة، عبد القادر، رضوى، ص٦٧-٧٠.

المبحث الخامس: ما قبل وأثناء وبعد معركة يعبد، وأهم نتائجها .

بعد تأسيس العصبة القسامية وقبيل أحداث يعبد في جنين، حدثت أحداث مهمة ومتنوعة، فقد بدأت الأعمال العسكرية للعصبة وبدأ ظهورها في ميدان الجهاد وكان لتلك الأعمال أهداف معينة أولها أن تكون تدريباً حقيقياً وعملياً لكسر حاجز الخوف لدى المجاهدين، بالإضافة إلى رغبتهم في لفت أنظار الشعب لشجاعتهم وفدائهم الكامنين في نفوسهم، ومن هذا ينبع الأمل في نفوس المواطنين بأن هذه البلاد لها من يحميها ومن يدفع الأذى عن المظلوم ويردع الظالم، وهناك بعض الروايات تقول أن من قام بهذه الأعمال هم ممن تأثروا بالقسام ودعوته وهم ومن شهداء ثورة البراق التي حدثت في ١٩٣٠م والذين شنقتهم القوات الإنجليزية وهم فؤاد حجازي ومحمد جمجوم وعطا الزير .

كانت أولى تلك العمليات هي الهجوم على مستعمرة (الياجور) قرب حيفا في ليلة ١٩٣١-٤-٥ فقتلوا ثلاثة جنود يهود وعادوا دون ترك أثر خلفهم، ثم توالى العمليات على المستعمرات فكان الهجوم التالي على مستعمرة (بلغوريا) و (كفار هاسيديم) و (عتليت) و (العفولة) في المرج .

أما أقوى العمليات والتي أحدثت غضباً لدى الإنجليز واليهود وفي ذات الوقت أثارت الخوف في نفوسهم هي عملية مستعمرة (نهلال) ليلة ١٩٣٢-١٢-٢٢، حيث زرع المجاهد أحمد الغلابيني اللغم في منزل الحرس في المستعمرة، فانفجر وقتل يهوديان وأصيب أحران، فهذه الواقعة كانت بمثابة ضربة قاسية، فكان وايزمان يقول: "إن نهلال مستعمرة ذات قيمة خاصة في نظري، لأنني منها ابتدئ بسياحتي وبها أختمها، وهي رمز

عملنا العظيم في مرج ان عامر ،ولست أبالغ إذا وصفتها بقلب المرج ،وعندما تتقرب مني الأيام الصعبة أتطلع إلى نهلال لأستعيد منها التعزية".

ولم تكتشف العملية إلا بعد ستة أشهر من حدوثها وبالمصادفة ،حيث أنهم عثروا على قنبلة مماثلة للتي انفجرت في المستعمرة في بيت مصطفى الأحمد ،فأخذوه وعذبوه تعذيباً وحشياً إلى أن اعترف ،فألقي القبض على صانع القنابل أحمد الغلابيني وآخرين ،فتم الحكم بالإعدام على مصطفى وبالسجن ١٥ سنة لأحمد ،وتم الإفراج عن البقية لعدم توافر الأدلة لإدانتهم .

وبهذا تعددت أشكال الأعمال الجهادية والتي بدورها دبت الرعب في قلب المحتل البريطاني والصهيوني ، وللتنويه فإن جميع هذه العمليات كانت تخطط وتنفذ بسرية تامة وهذا سر نجاحها الباهر ،لكن بسبب دعوة القسام العلنية بدأت القوات البريطانية تشك به وبأن له صلة بهذه العمليات التي تؤرقهم ،وأخذته للتحقيق لكنها أطلقتها لعدم وجود الدليل ضده ،فقرر القائد بدوره التوقف لمدة وجيزة والابتعاد عن العصابة ،ولكنه كان موقناً أن النتائج التي يريدها من وراء تلك العمليات قد حققت مرادها فقد ألقت الرعب في نفوس اليهود ،وازدادت حكومته ذعراً وبتوا الأرصاد ونشروا الجواسيس ،فصار الاعتقال عشوائياً إضافة إلى أنها كانت بمثابة الأمل في الشعب فحركت الهمم وشدت العزائم^(١) .

(١) كتاب عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين ،شراب ،محمد ،ص٢٦٨-٢٧٠.

أعلن القسام خروجه الفعلي وإعلان الثورة ،وكان لذلك أسبابه ،وأخصها في النقاط التالية^(١) :

١- خوف القسام من أن يتم اعتقاله واعتقال النخبة التي يعتمد عليها من إخوته وخصوصاً بعد أن رأى مدى مراقبة الانجليز له بشدة ومتابعة تحركاته .

٢- تهريب الأسلحة لليهود ، وهذا كان من أهم دوافع خروجه علناً للثورة وقد تم اكتشاف أكبر عملية تهريب للأسلحة تقريباً ،فقد مانت مرسله لليهود عن طريق ميناء يافا ،وقال المجاهد القسامي عربي البدوي : "إذا لم نهجم اليهود سوف يهاجمونا" .

٣- ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين واتساع مساحة الأراضي التي استولى عليها اليهود وعدم استجابة الانجليز لمطالب العرب بوقف الهجرة وبيع الأراضي .

٤- وصول الوضع العام في فلسطين إلى حالة يرثى لها بسبب الخلافات بين الأحزاب .

قام القسام بجولة على المناطق ليختار من جبالها أماكن تصلح لأن تكون قواعد جديدة للإطلاق الفعلي وتأمين السلاح، ومن تلك المناطق التي زارها قرية المزار ويعبد وصانور، وكما الواضح أنه اتخار قرية يعبد لكثرة الأحرش فيها والتي ستعمل على حماية المجاهدين من طائرات القوات البريطانية والصهيونيين.

أثناء المعركة^(٢) :

غادر القسام وصحبه حيفا متجهين إلى جنين، قرية يعبد تحديداً والتي تمتاز بكثرة أشجارها وأحراجها والتي تستخدم في رعي المواشي وصناعة الفحم، وتناقلت أخبار وصولهم بكثرة حتى وصلت للقوات البريطانية.

لم يحدد كم مجاهداً كان مع القسام ولكنهم تقريباً ما بين ١٥ و ٣٠ جندي مجاهد، ولكن أرحح الأقوال أن القسام خرج وحده من حيفا وكانت صحبته بانتظاره في يعبد.

وفي ١٩٣٥-١١-٢٠ والذي سمي بيوم الشهادة والشهداء، يوم الحياة، يوم استيقظ الشعب من غفلته، حيث يروي ويصف المجاهد القسامي عربي البدوي: "كان يوم أربعاء، وكنت واقفاً خفياً في طرف حرش يعبد قرب خربة الشيخ زيد ورفاقي داخل الغابة: الشيخ عز الدين وعصبته، ومع طلوع الشمس رأيت رجال (البوليس) يهجمون علينا وهم على ظهور الخيل ويتصايحون: (عليهم، عليهم..!)، فأوعزت إلى رفاقي أن يتوزعوا ويأخذوا أماكنهم.. وبدأت أطلق الرصاص فجعلوا يتركون الخيول، ويأخذون مواقع لهم على بطونهم، خلف الحجارة والرجوم من أكوام الحجارة".

كانت معركة غير متكافئة، عصابة القسام ٩ أفراد وهم يتوافدون بالعشرات على شكل دفعات حتى اكتملوا ووصل عددهم إلى ٤٠٠ جندي، وكانوا من القناصين البارعين بسبب وجود شارتي بندقية على أذرعهم، فجعل عربي يطلق النار لمدة عشرين دقيقة دون أن يحتمي بشجر أو حجر إلى أن قال له القائد خذ الأرض كي تكوت شهيداً فإن ظلت واقفاً تكون مت منتحراً.

(١) كتاب الشيخ عز الدين القسام قائد حركة وشهد ثورة، جرار، حسني، ص ١٠٤.

(٢) كتاب عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين، شراب، محمد، ص ٢٩٤-٢٩٥.

بعد اقتراب الجنود أعطى القسام الشارة للبدء بالإطلاق على قوات الشرطة البريطانية لا الشرطة العرب الذين وضعوهم للترس بهم، وقد استمرت المعركة بإطلاق النار من الطرفين، واكنت الأحرش قد ساعدت العصابة

القسامية على الإنتقال من مكان لآخر ،وثبت المجاهدون ولم يتراجعوا ولم يستسلموا ،وكان القسام يردد : " هذا جهاد إما نصر أو استشهاد".

أهم النتائج المترتبة على معركة يعبد^(١) :

١- رغم المقاومة والكفاح اللذان أبرزهما المجاهدون في المعركة إلا أن عدد الشهداء فيها هم خمسة :

- القائد الشيخ عز الدين القسام .

- يوسف الزيباوي

- حليلة المصري.

- أحمد الحسان .

أما الجرحى فهم :

- الشيخ نمر السعدي

- أسعد المفلاح

والأسرى :

- حسن البيار

- عربي البدوي

- محمد اليوسف

أما من جهة العدو فقد قتل شرطي وجرح آخر ،وفي النهاية تعمد أحد أفراد الشرطة الانجليزية إهانة جثة القائد القسام بالدعس على رقبته .

٢- كانت معركة يعبد أولى المعارك المسلحة بين العرب والقوات البريطانية ،وقد أثبتت هذه المواجهة أن العدو

الأول فعلاً هو الانتداب البريطاني ،والذي بدوره جلب اليهود بكثرة للبلاد وأسكنهم فيها كما لو أنها لهم .

٣- فهم أبناء فلسطين رسالة القسام الخالدة ،فالموت الشريف خير من الحياة الذليلة .

٤- كان لاستشهاد القسام دوي كبير في البلاد ، فتعاطف الشعب مع فكرة الاستشهاد في سبيل الله والوطن .

٥- إضافة إلى أنها كانت حافزاً ودرساً لأبناء فلسطين للبذل والتضحية وعدم السكوت عن الحق .

(١) كتاب الشيخ عز الدين القسام قائد حركة وشهيد ثورة ، جرار،حسني، ص١٢٩-١٣٠.

المبحث السادس :استشهاد القسام وقيام الثورة الفلسطينية الكبرى^(١)

استشهد القائد الشيخ عز الدين القسام هو والعديد من رفاقه والمذكورة أسمائهم أعلاه في تلك المعركة التاريخية التي لم تستمر أكثر من ساعات قليلة، إلا أن قائدها يحظى بالإجماع الذي لا مثيل له في تاريخ فلسطين، حيث أنه رجل لم يسعَ أبداً إلى سلطة أو كرسي، قدر ما كان يسعى أن ينفذ مشروعه على أكمل وجه، وأن يؤدي رسالته في هذه الدنيا، وأن يضع بصمته فيها بالشكل الأمثل في أكبر قدر من الناس مع مختلف طبقاتهم وأعمالهم، وكانت جميع إنجازاته في حيفا من أكبر الإنجازات، وكما برز دوره أيضاً في سوريا وليبيا قبل مجيئه للقيا ربه في فلسطين، كان رجلاً ثورياً مسؤولاً بحق ..

أدى استشهاده - رحمه الله - إلى إشعال شرارة الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٥م وإضراب الستة أشهر والذي لم يتوقف إلا بتدخل الزعماء العرب .

أكاديمية دراسات اللاجئين

The Academy Of Refugee Studies

(١) موسوعة شهداء الحركة الإسلامية في العصر الحديث، الواعي، توفيق، ص٢٣٢.



أكاديمية دراسات اللاجئين

The Academy Of Refugee Studies